الفصل الرابع:

أضرار الصور

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع:

أضرار الصور

لقد جرفت عاصفة الحضارات العصرية أبناء المسلمين إلى الهاوية إلا من رحم الله من أجل ذلك قطعوا الصلاة وتركوا مجالس العلماء وخلت المساجد من المصلين خاصة وقت صلاة الفجر، كل ذلك بسبب انقيادهم وراء الشهوات التي تشدهم إلى النظر إلى ما حرم الله ورسوله، ثم إلى الانحلال والانزلاق. قال بشر بن الحارث: «لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطاً من حديد» وقال السري السقطي: «لن يكمل رجل حتى يؤثر دينه على شهوته»[١].

وقال شيخ الإسلام: و(ابن سينا ذكر) في «مقامات العارفين» في الترغيب فيه - أي في الموسيقى - وفي عشق الصور ما يناسب طريقة أسلافه الفلاسفة، والصابئين المشركين، الذين كانوا يعبدون الكواكب والأصنام كأرسطو وشيعته من اليونان...[٢].

وقال صاحب كتاب قضايا اللهو والترفيه: «والمسلم الذي يكرر النظر إلى النساء بل يطيله في التلفاز، والمسلمة التي تطيل النظر إلى الرجل من غير المحارم في التلفاز، يخالفان أمر الله بعدم غضهما البصر، الأمر الذي يؤدي إلى بلادة الحس الإيماني عند كل منهما وبالتالي إلى نقص إيمانهما، ومراقبتهما لله تعالى، وحرصهما على رضاه»[٣]. أهـ

---

(١) صلاح الأمة (٧/٢٠٦).

(٢) الفتاوى (١١/٥٧٠).

(٣) قضايا اللهو والترفيه (ص ٢٢٦-٢٢٧).

وذكر في تراجم بعضهم أنه نظر إلى امرأة فأصابه مرض العشق فتولى فترك الصلاة فأتاه المرض حتى مات على الفراش.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: «وقد تنصر جماعة ممن نشأوا على الإسلام بسبب العشق كما جرى لبعض المؤذنين حين أبصر امرأة جميلة على سطح، ففتن بها ونزل ودخل عليها وسألها نفسها فقالت: هي نصرانية، فإن دخلت في ديني تزوجت بك ففعل، فرقى في ذلك اليوم على درجة عندهم فسقط منها فمات»[1].

وقال أيضاً: «فليس شيء أضيع لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور، أما مصالح الدين فإنها منوطة بلم شعث القلب وإقباله على الله، وعشق الصور أعظم تشعيثا وتشتيتا له...»[2].

ضررها على العقيدة

من أخطر ما يجلبه البث المباشر زعزعة عقيدة الإسلام في نفوس كثير من الناس، فاليهود والنصارى قد جعلوا من أهدافهم إخراج المسلمين من دينهم وزعزعة العقيدة في نفوسهم، وقد تحقق شيء من ذلك عبر وسائل كثيرة من أبرزها التلفزيون، ويمكن تلخيص الآثار العقدية فيما يلي؟

أ- خلخلة عقيدة المسلمين والتشكيك فيها وذلك عبر وسائل وأساليب متعددة.

ب- إضعاف عقيدة الولاء والبراء والحب والبغض في الله وذلك باستمرار مشاهدة الحياة الغربية.

---

(١) الجواب الكافي بتحقيق أسامة (ص ٢٤٩) قال ابن القيم: ذكر هذا عبد الحق في كتابه (العاقبة). أهـ.

(٢) المصدر السابق (ص ٢٤٤).

وإبراز زعماء الشرق والغرب داخل بيوتنا والاستمرار في عرض التمثيليات والمسلسلات الغربية مما سيخفف ويضعف من البغض لأعداء الله.

جـ- تقليد النصارى في عقيدتهم وذلك باكتساب كثير من عاداتهم المحرمة التي تقدح في عقيدة المسلم كالانحناء ولبس الصلبان وإقامة الأعياد العامة والخاصة.

د- إظهار بلاد الكفار بأنها بلاد الحرية والديمقراطية[1] والعدالة، وذلك بما يتاح للفرد فيها مما لا يجده في بلاد المسلمين.

هـ- ومن أخطر الآثار العقدية، الدعوة إلى النصرانية وذلك عبر البث المباشر[2]. أهـ

وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد: «ومما يجب التنبه له والحذر منه: أن من بسط الله يده، أن يكف عن المسلمين تلك السموم التي تقذف بها بعض القنوات الإعلامية في بعض البلاد!! وعلى وجه الخصوص ذلك التركيز الخبيث على تغريب المجتمعات المسلمة في أخلاقهم، ولباسهم، وغدوهم ورواحهم، وبخاصة إخراج المرأة من عفتها وطهارتها إلى أحط دركات السفالة، والتبذل، والحيوانية، في شتى وجوه: (الإباحية).

وتعمل تلك القنوات جاهدة على التشكيك في الاعتقاد الإسلامي الحق، والاعتراض على أحكام الله المحكمة والسخرية بالله وآياته ورسوله، والدعوة

---

(١) والديمقراطية هي حكم الشعب نفسه بنفسه، أي لا علاقة للدين بالحكم ولا سلطان على الشعب غير القانون.

(٢) كتاب المسلمون في مواجهة البث المباشر (ص٤٠-٤١).

للإباحية والانسلاخ من الدين، وتمكين المنافقين بإعلان ما يحيك في صدورهم، ومجاهرة المضلين بمقالات الكفر والتشكيك والردة عن الدين...[١].

وذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «أن رجلاً نظر إلى امرأة لا تحل له فتولع قلبه فأخذ يمرض حتى حضروه في سكرات الموت بسبب العشق، ولما أتوه قالوا له: قل لا إله إلا الله محمد رسول الله. قال: أين الطريق إلى حمام منجابي»[٢].

ضررها على سماع القرآن وتدبره وحفظه وعلى الذكر

من المسلم به أن الصور الثابتة التي في الورق والمتحركة المرئية التي في الأجهزة قد ألهت الناس عن حفظ القرآن وسماعه وتدبره وعن ذكر الله عز وجل.

أما صرفها الناس عن القرآن فإنك تجد الناس في أعمالهم إذا وجدوا فراغاً يقلبون صفحات المجلات والجرائد يشاهدون الصور التي فيها وما فيها من كلام مضيع للأوقات في الغالب، أو يشاهدون ما في التلفاز من برامج وأفلام تفوت على المسلم فرص الطاعات... وأصبحت مشاهدة الصور عادة منتشرة في عيادات الأطباء والفنادق والمطارات والطائرات وبعض سيارات النقل والسفن والمحلات التجارية والمرافق الحكومية وغير ذلك.

فكلما اشتد تعلق الشخص بالصور بعد كثيراً عن الذكر ونقص إيمانه وضعفت محبة الله عز وجل في قلبه.

قال ابن القيم: إنه ليس في عشق الصور مصلحة دينية ولا دنيوية، بل مفسدته الدينية والدنيوية أضعاف أضعاف ما يقدر فيه من المصلحة، وذلك من وجوه:

---

(١) درء الفتنة عن أهل السنة (ص ٥٤-٥٥).

(٢) الجواب الكافي (ص ١٤٧).

أحدها: الاشتغال بحب المخلوق وذكره عن حب الرب تعالى وذكره، فلا يجتمع في القلب هذا وهذا إلا ويقهر أحدهما الآخر، ويكون السلطان والغلبة له... فأبعد القلوب من الله قلوب عشاق الصور، وإذا بعد القلب من الله طرقته الآفات، وتولاه الشيطان من كل ناحية واستولى عليه...[١].

فأعداء الإسلام عملوا كل ما يستطيعون من أجل صرف المسلم عن القرآن، لأنهم يرون أن تمسك المسلمين بالقرآن هو سبب عزهم، وانتصارهم. ويظهر الحقد على الدين وأهله من خلال تصريحاتهم، أختصر منها ما يلي:

قال وليم جيفور بالكراف: متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة بعيداً عن محمد وكتابه.

وقال غلاد ستون: ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون نفسها في أمان.

وقال الحاكم الفرنسي في الجزائر: «يجب أن نزيل القرآن من وجودهم... ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم حتى تنتصروا عليهم»[٢].

ضررها على القلوب

من المعلوم أن من أوجب الواجبات الشرعية المحافظة على القلب الذي هو محل محبة الله وخشيته لقول رسول الله ﷺ: «...**ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[٣].

---

(١) الجواب الكافي (ص ٢٤٣ و١٤٤).

(٢) أنظر كتيب قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام دمروا أهله.

(٣) سبق تخريجه.

ومن أهم أسباب المحافظة عليه غض البصر كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ (النور: ٣٠)، فبدأت الآية بغض البصر لأن البصر رائد القلب، كما قيل: من سرح ناظره أتعب خاطره.

وقال شيخ الإسلام: «النظر داعية إلى فساد القلب ولهذا أمر الله بغض البصر»[١].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «ولما كان النظر داعية إلى فساد القلب. أمر الله بحفظ الفرج كما أمر بحفظ الأبصار، التي هي بواعث إلى ذلك فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ...﴾ الآية وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (المؤمنون: ٥). وتارة يكون بحفظه من النظر إليه كما جاء في المسند والسنن:

«احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك»[٢]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٣٢) أي أطهر لقلوبهم وأتقى لدينهم كما قيل: من حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته...»[٣].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى وهو يتحدث عن عشق الصور وما فيه من المفاسد العاجلة والآجلة: «وإن كانت أضعاف ما ذكره ذاكر، فإنه يفسد القلب باللذات، وإذا فسد القلب فسدت الإرادات والأقوال والأعمال، وفسد ثغر التوحيد»[٤]. أ هـ

---

(١) كما في كتاب توضيح الأحكام (٤/٣٥٤).

(٢) رواه أحمد (٥/٤) وحسنه شعيب برقم (٢٠٠٣٤) وأخرجه أبو داود برقم (٤٠١٧) والترمذي برقم (٢١٦٩) وحسنه.

(٣) التفسير (٣/٢٩٣).

(٤) من الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص٢٥١).

وقد أحسن من قال:

ليس الشجاع الذي يحمى مطيته .... يوم النزال ونار الحرب تشتعل
لكن فتى غض طرفا أو ثنى بصرا .... عن الحرام فذك الفارس البطل

فالنظر إلى الصور معصية تسبب موت القلب وخرابه.

قال ابن المبارك رحمه الله:

رأيت الذنوب تميت القلوب .... وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب .... وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك .... وأحبار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس فلم يربحوا .... ولم يغل في البيع أثمانها
لقد رتع القوم في جيفة .... يبين لذي العقل أنتانها

وقال آخر:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا .... لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر .... عليه ولاعن بعضه أنت صابر

وقد مات مجنون ليلى بداء العشق الذي أصاب قلبه فهو القائل:

وإني لأستغني وما بي غشوة .... لعل خيالا منك يلقى خياليا
وأخرج من بين البيوت لعلني .... أحدث عنك النفس بالسر خاليا

فبسبب مشاهدات الصور وقع الناس في الخطر، وصارت محبة الكفار في قلوب كثير من المسلمين، لأنهم أصبحوا يرددون أسماءهم ويشاهدون صورهم خاصة أبطال الأفلام والكرة والملاكمة والمصارعة... «وهذا من مرض القلوب،

فلو أنها سلمت لأحبت ما يحبه الله ورسوله. ولو تكلمت النساء المفتونات بالصور بما في قلوبهن من محبة الشباب والمشاهير لصعب عليهن حصرهم.

فحال قلوبهن كما قال القائل:

فيا من ليس يقنعها محب .... ولا ألفا محب كل عام
أظنك من بقية قوم موسى .... فهم لا يصبرون على الطعام
أتيت فؤادها أشكو إليه .... فلم أخلص إليه من الزحام

ضررها على الأخلاق

لا شك أن ما يشاهد من صور خليعة ماجنة واغتصاب النساء وشرب للخمور والتفنن في طريقة السرقة والقتل وعقوق الوالدين، ستربي شباباً فاسداً منحرفاً يلقى به في متاهات الضلال والأوحال.

«إن القيم التي تبثها الأسرة في الأطفال آخذة في الضمور والاضمحلال... لتحل محلها قيم تلفزيونية مشتقة من أفلام رعاة البقر ومسلسلات العنف وتمثيليات الجنس والجريمة... وهي دائرة ضخمة من الآثار الوخيمة ذات الحلقات المتصلة... يصنعها التلفزيون كل يوم ويتشبع أفراد الأسرة بهذه القيم ويصبحون رعاة لها»[1]. اهـ

ومن أبرز ما خلفته الأفلام من شرور خلال السنوات الماضية ما أحدثته من خلل في أخلاق الرجال وأعراض النساء ويتخذ هذا عدة صور منها:

- شيوع الرذيلة وسهولة ارتكابها حتى أصبحت أمراً عادياً في بعض المجتمعات.

- تفجير الغرائز والبحث عن طرق غير شرعية لتصريفها كعرض الأفلام الخليعة مع عرض مفاتن الممثلات وإبرازها.

---

(١) بصمات على ولدي (ص ٨).

- تعويد الناس على وسائل محرمه كالخلوة والاختلاط والمغازلة.

- بث الأفلام الدعائية التي تشد المشاهد وتحبب إليه السفر إلى الخارج كدعاية الخمر والمسكرات بأنواعها.

- عرض بعض الأفلام التي تدعو إلى المخدرات بطرق مباشرة أو غير مباشرة[١]. أهـ

ومن العوامل الكبيرة التي تؤدي إلى انحراف الولد، وتدفعه إلى الشقاوة وارتكاب الجريمة، والسير وراء الميوعة والانحلال، ما يشاهده في دور السينما، وعلى شاشة الرائي (التلفزيون) من روايات بوليسية، وأفلام خلاعة، وما يقرؤون من مجلات ماجنة وقصص مثيرة. وهي بجملتها ومضمونها تتجر بالغرائز، وتشجع على الانحراف والإجرام، وهي كذلك تفسد أخلاق الكبار، فكيف بالمراهقين، والأطفال الصغار؟![٢]. أهـ

«فقد وجه اليهود معظم أفلامهم لإفساد الأخلاق وتدمير العقائد، وإثارة الشهوات حيث أغرقوا العالم بأفلام الجنس والجريمة والسرقات والقتل، وأخس أنواع أفلام الدعارة وأكثرها إثارة، والتي جنوا من ورائها أرباحاً هائلة فهي تباع في كل مكان حتى في البلاد العربية والإسلامية»، ونقل صاحب الكتاب المذكور عن بعض الصحف قولها: «إن صناعة السينما في أمريكا هي يهودية بأكملها ويتحكم اليهود فيها دون أن ينازعهم في ذلك أحد، ويطردون منها كل من لا ينتمي إليهم أو يصانعهم، وجميع العاملين فيها هم أما من اليهود، أو من صنائعهم.. ولقد أصبحت هوليود بسببهم (سدوم العصر الحديث) حيث تنحر

---

(١) المسلمون في مواجهة البث المباشر (ص ٤٥- ٤٦).

(٢) تربية الأولاد في الإسلام: (١/ ١٣٥-١٣٦).

الفضيلة وتنشر الرذيلة وتسترخص الأعراض وتنهب الأموال دون رادع أو وازع. وهم يرغمون كل من يعمل لديهم على تعميم ونشر مخططهم الإجرامي تحت ستائر خادعة كاذبة.. وبهذه الأساليب القذرة أفسدوا الأخلاق في البلاد، وقضوا على مشاعر الرجولة والإحساس...» وختمت الصحيفة مقالها بقولها: «أوقفوا هذه الصناعة المجرمة لأنها أضحت أعظم سلاح يمتلكه اليهود لنشر دعاياتهم المضلة الفاسدة»[1].

فالحقيقة أن الصور التي تشاهد في الأجهزة والمجلات أصبحت الموجه الأول للشباب قبل الأب والأم والمدرس، فقد صار الكل ينفذ ما توجهه الصور الثابتة أو المتحركة أكثر من تنفيذ توجيه الأبوين والمدرس، فقد جعلت الصور الأطفال والشباب يتمردون على آبائهم ومدرسيهم ومجتمعهم، بل صاروا يقلدون ما يشاهدونه تقليدا أعمى ولا يميزون بين الخيال والحقيقة.

وإليك أخي القارئ الكريم نماذج من عدة دول قاموا بتقليد ما شاهدوه في التلفاز:

- ففي أمريكا عرضت شبكة التلفزيون الأمريكي (إن. بي. سي.) تمثيلية يداهم فيها الإرهابيون من المجرمين ركاب إحدى قطارات الأنفاق ويقتلون أحد هؤلاء الركاب، وهي جريمة لم يسبق ارتكابها في الواقع، فإذا بأحد الصبية يقتل مخبر شرطة في أحد قطارات الأنفاق بالطريقة نفسها التي شاهدها على شاشة التلفزيون.

- فتاة في الخامسة عشرة من عمرها رأت في التلفزيون قاتلاً يعطل فرامل السيارة، فقلدته مع سيارة أبويها لتقتلهما، ولما فشلت جربت خطة أخرى إذ

---

(١) لا طريق غير الجهاد لتحرير المسجد الأقصى وإحباط المؤامرة العالمية على الأمة الإسلامية (ص ٥٠٥-٥٠٦).

ألقت صفيحة بنزين على السيارة في المرآب فانفجرت، وعندما سئلت الفتاة فيما بعد عن السبب قالت: أبواي يضغطان علي كثيراً للمذاكرة... أخي فشل وهما يريدان مني تعويض فشله... نظرت إلى التلفزيون فتعلمت طريقة الجريمة.

- كذلك في أمريكا انتهزت السينما الأمريكية الفرصة وأنتجت فيلماً مثيراً تحت عنوان (قاتل بطبيعته)... بعد عرض الفيلم انتشرت جرائم القتل على يد أطفال تتراوح أعمارهم بين ١٣-١٤ سنة.. لقد ذكر أحد هؤلاء الأطفال أنه ارتكب جريمة لأنه كان يريد أن يصبح مشهورا مثل بطل الفيلم.

- وفي بريطانيا قام طفلان هما: (روبرت طومسون) و(جون فينا بيلز) (١١عاما) بارتكاب جريمة قتل الصبي (جيمس بولجر) (عامان). وقد ثبت لدى المحكمة أن القاتلين ارتكبا جريمتهما بعد أن شاهدا فيلماً عنيفاً، الأمر الذي وضعه المحللون في الاعتبار عند اتخاذهم لقرار تجريم الطفلين بقتل الصبي فيما بعد.

- وفي ألمانيا قام شابان شقيقان بخطف فتاة فأصرا وطالبا ذويها بفدية قدرها مليونا مارك وذلك إثر مشاهدتهما حادث اختطاف في فيلم تلفزيوني، وقد أخفيا الفتاة حسب الفكرة التي اكتسباها من الفيلم.

- وفي فرنسا قامت إحدى الطالبات ويبلغ عمرها ١٩ عاماً مع صديقها الذي يبلغ من العمر ٢٢ عاماً بقتل خمسة أشخاص خلال ٢٥ دقيقة تشبها ببطل فيلم (قاتل بطبيعته).

- وفي أسبانيا ظهر أن ٣٩٪ من الأحداث المنحرفين قد تلقوا معلوماتهم من الأفلام التي تشرح لهم تفاصيل ارتكاب الجريمة وطرق الاعتداء على الناس، وأساليب الانحراف الخلقي.

- وفي مصر أوقفت النيابة العامة إحدى المسلسلات عندما ارتكب أحد المجرمين جريمة مطابقة تماماً للجريمة في هذه المسلسلة، كما قام بعض الشباب بمداهمة إحدى البارات في شارع عدلي بالقاهرة على غرار ما شاهدوه على شاشة السينما مستخدمين المدافع الرشاشة. وقام عدد من الأطفال بأعمال تخريبية في عدة مدارس ووصفتها الشرطة بأنها تقليدا لأحد الشخصيات الإجرامية التي ظهرت على شاشة التلفزيون.

- وفي الكويت قام شاب يعاونه ثلاثة مراهقين باختطاف طفلة في الحادية عشرة واغتصابها، وكان ذلك نتيجة ما كان يشاهده في الأفلام.

- وفي الإمارات العربية المتحدة ظهرت أولى نتائج انتشار استخدام الأطباق المستقبلة للبث التلفزيوني للأقمار الصناعية بعد أقل من سنتين وهي عبارة عن ظهور عصابة مؤلفة من عشرة من الأحداث يصل عمر بعضهم إلى خمسة عشر عاما وأكبرهم في العشرين قاموا بقتل حارس باكستاني. وتقول الشرطة إن الحادث هو جريمة القتل الأولى في البلاد لعصابة منظمة من أحداث.

- وفي لبنان قام شاب بإطلاق النار على شقيقته فأرداها قتيلة وعزى أحد أعضاء مجلس النواب اللبناني السبب إلى التلفزيون[1]. أهـ

ضررها على الأوقات

حياتنا هي رأس مالنا فإذا ضاع رأس المال وهو الوقت ولم يستغل في الطاعات كما أراد الله خسرنا، فإن اليوم عمل لا حساب فيه، وغداً حساب ولا عمل فيه.

---

(١) «ولدك والتلفزيون» (ص ٨١- ٨٥).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»**[١].

وأكبر من شغل المسلمين بالشرور وضيعوا أوقاتهم بالفجور هم الكفار، وقد أمر الرسول ﷺ المسلم أن يحفظ وقته فقال: **«اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وحياتك قبل موتك، وصحتك قبل مرضك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك»**[٢].

ويروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي.

وقد قيل: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك. وقال بعضهم:

كل يوم يمر يأكل بعضي .... يرث القلب حسرة ثم يمضي

وقال الشاعر:

بادر شبابك أن يهدما .... وصحة جسمك أن تسقما
وأيام عيش قبل الممات .... فما دهر من عاش أن يسلما
ووقت فراغك بادر به .... ليالي شغلك في بعض ما
وقدم فكل امرء قادم .... على بعض ما كان قد قدما

---

(١) رواه البخاري (١١/٢٧٥) رقم (٦٤١٢) والترمذي (٤/٤٧٧) رقم (٢٤٠٤) وابن ماجة (٢/١٣٩٦) رقم (٤١٧٠).

(٢) رواه الحاكم (٤/٣٠٦) وصححه ووافقه الذهبي. وأخرجه البغوي في شرح السنة (١٤/٢٢٤) رقم (٤٠٢١). من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وصدق من قال :

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه .... وأراه أسهل ما عليك يضيع

فمن الخسارة أن لا يدرك الناس خطر إضاعة أوقاتهم ولا يتنعمون به كما أراد الله، فمن ضيع وقته لم ينتفع بصحته ولا بفراغه، لأنه لم يصرف وقته فيما يعود عليه بالنفع العظيم وإنما ضيعه فغبن وخسر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة»**[1].

وقد أحسن من قال:

وساعة الذكر فاعلم ثروة وغنى .... وساعة اللهو إفلاس وفاقات

وقال آخر:

ومن تفته ساعة من عمره .... تكن عليه حسرة في قبره

فالنظر إلى الصور الخليعة يقسي القلب، ويجلب فيه الغفلة، ويورثه الحسرة، ويقضي على المروءة، ويعدم الحياء، ويبعد الإنسان عن الجد والحزم، ويضعف العزم. فالمؤمن يستغل أنفاسه النفيسة فيما ينفعه ويرفعه لا فيما يضره ويقلل من شأنه.

وقد أحسن من قال:

وإن صافيت أو خاللت خلا .... ففي الرحمن فاجعل من تؤاخي

ولا تعدل بتقوى الله شيئا .... ودع عنك الضلالة والتراخي

---

(١) رواه أبو داود (٤/٢٦٥-٢٦٦) رقم (٤٨٥٥). وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٤٠٦٤).

ولهذا يجب الحذر من أعداء الإسلام الذين سيطروا على فكر الأمة الإسلامية ووقتها عبر وسائل الإعلام التي ألقت أوبئتها الممرضة وسمومها القاتلة بالصور الفاتنة والأفكار الهادمة، فالكفار يسعون ليلاً ونهاراً من أجل إضلال المسلم، كضلالهم فقد أصبحوا كالبهائم كما قالت «فابيان» عارضة الأزياء المشهورة: «لولا رحمته بي لضاعت حياتي في عالم ينحدر فيه الإنسان ليصبح مجرد حيوان كل همه إشباع رغباته بلا قيم ولا مبادئ».

فالإنسان خلق لمقصد سام وهدف عظيم وهو عبادة الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) فالإنسان مطالب أن يكون وقته كله لطاعة ربه، فليس العبد حر في وقته يصرفه كيف شاء وفيما شاء، حتى وقت الفراغ لا يجوز أن يصرف إلا فيما هو مشروع فقد قال النبي ﷺ: «فإن لزوجك عليك حقا ولزورك عليك حقا ولجسدك عليك حقا»[1].

فلا يجوز للمسلم أن يضيع وقته فيما يعود عليه بالضرر، فإن العكوف على التصاوير ضياع للدين وأهله، ونسيان لليوم الآخر، وقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا...﴾ (الأعراف: ٥١) فالله الله في الحرص على الوقت قبل أن يحل الندم قال الله تعالى عن أهل النار: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ (فاطر: ٣٧) والرسول ﷺ يقول: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»[2].

---

(١) رواه البخاري (٤/٢٧٢) رقم (١١٥٣ و١٩٧٤و١٩٧٧) ومسلم (٨/٣٥) رقم (١١٥٩) واللفظ له.

(٢) رواه الترمذي (٤/٥٢٩) رقم (٢٤١٧) وقال حسن صحيح، وصححه الألباني في المشكاة (٣/١٤٣٥).

ضررها على الغيرة

الغيرة على المحارم من أهم أسباب حفظهن من الوقوع في الزنا ومقدماته، فالمرأة فتنة، والنظر إليها سبب لوقوع الفاحشة، وللأسف انعدمت الغيرة في زمننا هذا عند كثير من الرجال بسبب ضعف الإيمان في قلوبهم. فقد يشاهد بعض الناس امرأته أو أخته أو ابنته أو أمه أو محارمه جميعاً ينظرن إلى الرجال أو الرجال ينظرون إليهن ولا يغار، بسبب سوء تربيته.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله فلذلك مدح نفسه»**[1].

قال صاحب كتاب المحرمات على النساء وهو يتكلم عن الصور التي تعرض في التلفاز: «بئس ما قدمنا لأولادنا من آداب ترى الفتاة وقد ارتمت في أحضان الغريب عنها، والمرأة بين ذراعي رجل غير زوجها، فيا له من منظر مؤلم لا يسكن إليه إنسان إلا بعد أن يروض نفسه على الرضا بما لا يرضى الله ولا يتفق مع قواعد الصون والعفاف»[2]. أهـ

فلا يرضى عاقل يهمه دينه وعرضه ومروءته أن يترك زوجته أو ابنته أو ولده أمام الصور التي في الأجهزة أو الصحف، كما لا يقبل رجل شريف أن يتلذذ بمشاهدة النساء أو يترك زوجته أو بناته أو أخواته يتلذذن بمشاهدة الرجال، فمشاهدة هذه الصور تسبب الانحراف وتحض على ارتكاب الموبقات، فلا يخفى ضررها على ذوي العقول السليمة.

---

(١) رواه البخاري (٨/٣٨٤) رقم (٤٦٣٧) ومسلم (١٧/٦٥) رقم (٢٧٦١).

(٢) المحرمات على النساء (ص ١٧٤).

ومن صور موت الغيرة التي تدمي القلوب أن يسمح الرجل لنفسه أو من تحت ولايته بمشاهدة قنوات فضائية ساقطة، قد وصلت بها الرذيلة إلى عرض الفاحشة في أقبح صورها، فهل غارت من النفوس الغيرة؟ وهل غض ماؤها في أهله؟ لا يدري الغيور من يخاطب هل يخاطب الزواني والبغايا؟ وإلا فأين الكرام والحرائر؟[1]. أهـ

ألم تر أن العين للقلب رائد .... فما تألف العينان في القلب آلف

لقد قال لي شخص بعد أن حدثته عن أضرار التلفاز وكيد الكفار للإسلام وأهله وقصدهم من البث المباشر، :

«قبل فترة تزوج بعض من أولاد أخي فاستأذن أولادي وبناتي أن يبيتوا ببيت عمهم ليلة العرس فوافقت وتركتهم في بيت أخي، وعندما رجعوا صباح اليوم الثاني أخبرني إبني الصغير أن جميع من في بيت عمه شاهدوا زنا في قناة فضائية آخر الليل، وفي الليلة الثانية ذهبت في نفس الوقت إلى بيت أخي لأتأكد مما قيل لي، فلما فتح الباب دخلت سريعاً فوجدت الجميع ينظرون إلى الدش وفيه الزناة والزواني عرايا يرتكبون الفواحش وأخي وزوجته والبنات والشباب ينظرون بدون خجل. فتركتهم وهجرتهم ومنعت أهلي وأولادي منهم تقرباً إلى الله سبحانه».

فهل يصدق أن المسلم يصل به الحال إلى مثل هذا، يفقد الأب نخوته وغيرته وشرفه وتفقد الأم حياءها وكرامتها؟؟

---

(١) الغيرة على المرأة (ص ٤١).

فصدق من قال:

إذا لم تخش عاقبة الليالي .... ولم تستحي فافعل ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير .... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير .... ويبقى العود ما بقي اللحاء

فبعض الناس ربما يرى صاحب دكان أو سيارة أو طبيب يضاحك امرأة من محارمه ولا يتحرك له ساكن وكأنه يشاهد تلفازاً فيه ما يمتع به مقلتيه. وقد جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم الله عليه**»(١).

وجاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير مني**»(٢).

وقال ﷺ: «**لو علمت أنك تنظر لطعنت بهذا في عينيك؛ إنما جعل الله الإذن لغض البصر**»(٣).

وكان عمر يقول: «من ملأ عينيه من قارعة بيت فقد فسق»(٤).

فكيف يستسيغ ذو الشهامة من الرجال والعفة من النساء لأنفسهم ولأطفالهم ولفتياتهم هذا الغثاء المدمر من ابتكارات البث المباشر وقنوات الفضاء الواسع. أين ذهب الحياء؟ وأين ضاعت المروءة؟ أين الغيرة في بيوت هيأت للناشئة أجواء الفتنة، وجرتها إلى مستنقعات التفسخ جرا، وجلبت لها تحرضات المنكر تدفعها

---

(١) رواه البخاري (٣٩٨/٩) رقم (٥٢٢٣) ومسلم (٦٥/١٧) رقم (٢٧٦١) أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) رواه البخاري (٦٨٤٦) و(٧٤١٦) ومسلم (١٤٩٩).
(٣) رواه البخاري (١٢/ ٣٠٠) رقم (٦٩٠١) ومسلم (١١٥/١٤) رقم (٢١٥٦) واللفظ له.
(٤) تفسير القرطبي (٢٢٣/١٢).

إلى الإثم دفعا، وتدعها إلى الفحشاء دعا، فأيها المسلم الصادق الغيور إن الحلال بين وإن الحرام بين[١]. أهـ

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «... والمقصود أنه كلما اشتدت ملابسته للذنوب أخرجت من قلبه الغيرة على نفسه وأهله وعموم الناس، وقد تضعف في القلب جدا فلا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره، وإذا وصل إلى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك... وهذا يدل على أن أصل الدين الغيرة، ومن لا غيرة له لا دين له، فالغيرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح فتدفع السوء والفواحش، وعدم الغيرة تميت القلب فتموت الجوارح فلا يبقى عندها دفع البتة، ومثل الغيرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه، فإذا ذهبت القوة وجد الداء المحل قابلا، ولم يجد دفاعا فتمكن الهلاك»[٢]. أهـ

فمن يشاهد الرذائل يتغاضى عن الفضائل، لأن حياءه قد خدش، ومروءته قد تحطمت، ولا حول ولاقوة إلا بالله.

ضررها في الأعراض

مما لا يختلف فيه أن الصور أصبحت سبب الفتن والخزي والعار والفضيحة والانحراف، فإذا لم تصن الأعراض من التصوير هتكت، فقد صورت الساقطات من بنات المسلمين صوراً في المجلات والدشوش وغير ذلك كمرأة مسلمة عصرية متحضرة، فلما شاهد الكفار صور هؤلاء العاهرات ظنوا أن جميع بنات المسلمين كذلك، فلا فرق إذا بين المرأة المسلمة وغيرها في نظرهم. ولما شاهدن نساء

---

(١) الغيرة على المرأة (ص ٤١).

(٢) الجواب الكافي (ص ٤٥).

المسلمين ما عليه هؤلاء النسوة.نزع كثير منهن جلباب الحياء وتخلين عن كثير من مبادئ الدين والعفة والشرف حتى تغيرت أحوالهن في الملبس، والحجاب، والعمل... فكلما شاهدن شيئاً جديداً سارعن إلى تطبيقه، وأصبحت الأعراض رخيصة، حتى إن ذلك يظهر على البنات الصغار في الشوارع كل ذلك بسبب مشاهدة الصور. كيف لا وقد أتلف التلفزيون حياء المسلمين.

فالتصوير يشكل خطورة على أعراض المسلمين لا مثيل له، فقد وجد بعض الناس صورة أخته أو قريبته والشباب يتلذذون بالنظر إليها في أكثر من دولة وأكثر من مكان، وقد ذكرت بعضاً من ذلك فيما سبق.

وقد اشتهر بين الناس أن الصور تسببت في طلاق كثير من النساء بسبب عشقهن لبعض المشاهير من الرجال، فقد سمعن وهن يحدثن الصور التي في التلفاز بلا شعور ويتغزلن بمن فيها.

وقد دخل كثير من الرجال على زوجاتهم فجأة وهن يقبلن شاشة التلفاز ووجد أناس حمرة الشفاه على الشاشة من أثر التقبيل.

قال فضيلة الشيخ/ محمد بن عبد الله الإمام حفظه الله في كتابه (المؤامرة الكبرى على المرأة المسلمة):

«ومما لا يتصوره عقل ما حصل في أحد المستشفيات في اليمن؛ وهو أن إحدى النصرانيات العاملات في الطب تابعة لبعثة صينية، اكتشف أنها تصور المرأة المسلمة وهي عارية تماماً، وذلك حين عمل العملية لها، فسئلت النصرانية: لماذا تفعل هذا؟ قالت من أجل دراسة الصورة في بلادهم»[1].

---

(١) المؤامرة الكبرى على المرأة المسلمة (ص ٢٠٣).

وقد ذكرت جملة من القصص والحوادث في آخر هذا الكتاب لأستدل بها على أن الصور قد أضرت الأعراض.

ضررها على صلة الأرحام

كان الناس في الماضي يعيشون بقلوب متراحمة يحب بعضهم بعضا ويزور بعضهم بعضا، فلما دخلت عليهم فتنة الصور استغنوا بمشاهدتها عن الزيارات، وفتنوا بمشاهدة الأفلام والمسلسلات، وإذا حصل في النادر زيارة فالجميع ينصتون لا يتكلمون، كلهم مشغول بالصور التي تعرض عليهم. ولو أن شخصاً تكلم أثناء عرض المسلسل أو الفيلم زجر وألزم بالصمت والمتابعة، كائنا من كان. وإذا كان الشخص مستقيماً، فلربما لا يستطيع زيارة أقاربه بسبب ما لديهم من الصور المنكرة والدشوش التي تدعوا إلى الرذيلة، وهم كذلك يستثقلون مجيئه، لعلمهم أنه يستنكر هذه المنكرات التي دمرت المسلمين وقطعت أرحامهم.

وقد أمر الرسول ﷺ بصلة الأرحام فقال الرسول ﷺ عنها: **«من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»**[1].

ضررها على شجاعة المسلمين تجاه الكفار

إن الحرب الإعلامية والنفسية من أهم الخطط الحربية، فهي أعظم سبب لإرباك الخصم وانهياره واستسلامه.

ولذلك لجأ أعداء الإسلام إلى زرع الرعب في قلوب المسلمين، بعرضهم صور الجيوش الأمريكية والبريطانية وغيرهما وأسلحتهم الفتاكة، بمعنى أن

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

الأجهزة المرئية تنقل صور جيوش الكفار وأسلحتهم المتفوقة وكأنهم قوة لا يستطاع لها بحال من الأحوال، ولا يعوزنا الدليل على ذلك، إذ أن من يشاهد تلك الصور البشعة يعرف أن اليهود والنصارى أرادوا إيهام المسلم أنه ضعيف لا يستطيع مواجهتهم، حتى أذلوا من أعجب بهم من المسلمين فمن لم يخف من الله أذله وأهانه وأضعف إيمانه وجعل الشيطان وليه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : «تالله ما عدى عليك العدو إلا بعد أن تولى عنك الولي، فلا تظن أن الشيطان غلب ولكن الحافظ أعرض»[١]. أهـ

فالحقيقة أن القوة المادية الموجودة مع الكفار سبب لهزيمتهم، إذ أن المسلمين لو صدقوا مع الله لنصرهم وأصبحت هذه القوة غنيمة لهم يحاربون بها عدو الله وعدوهم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٧٦).

قال صاحب كتاب (مدارك النظر):

«... وفي الوقت نفسه يعظمون الأسباب المادية حتى يروا أن عدوهم تمكن لقوته، والحق أنه لا يدخل عليهم العدو بيوتهم إلا إذا وهى بنيانها؛ أي لا ينهزم المسلمون لقوة عدوهم ولكن لضعف إيمانهم، حتى ولو عريت أيديهم من الأسباب ـ بعد بذل الوسع ـ كفاهم الله ما نابهم»[٢]. أهـ

---

(١) الفوائد (ص ٧٩).

(٢) مدارك النظر (ص٣٣).

المسلمون تجاه الكفار على قسمين :

قسم مؤمن متمسك بدينه قوي لا يهاب الكفار ولا يخشاهم، لأنه يحافظ على دينه ويطيع الله ورسوله ويستمد قوته من إيمانه بربه قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠).

وقال تعالى: ﴿لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ (الحشر: ١٣)، فمهما أعد الكفار أو جمعوا من قوة فلا يخوفون إلا أولياءهم من حثالات المسلمين المستسلمين لهم لأن الله يقول: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩).

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (النساء: ١٠٤)، فالمسلم المتمسك بشرع الله موعود بالنصر والتأييد. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾ (آل عمران: ١٣)، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ، بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الروم: ٤، ٥).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧)، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧).

قال خبيب بن عدي:

ولست أبالي حين أقتل مسلما .... على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشاء .... يبارك على أوصال شلو ممزعي

وقسم عاصي لربه ضعيف مهزوم: من هؤلاء أصحاب السياسة العوجاء وعشاق التلفزة والدشوش، الذين عظم في أعينهم عدوهم حتى خافوا منه وطلبوا رضاه، وإن اعتدى عليهم وأخذ أرضهم واغتصب نساءهم وقتل أبناءهم وأخرجهم من ديارهم وفرض عليهم الجزية كما كانت تفرض على اليهود من قبلهم فلا زال الكافر صديقه وقدوته في الشجاعة والقوة والصناعة.

ولا غرابة أن ينزع الله من قلوب بعض المسلمين مهابة عدوهم، طالما قد عكفوا على مشاهدة القنوات الفضائية ومارسوا أنواع المعاصي المخزية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «... ولو شككوا لشكوا ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا وليسوا كفاراً ولا منافقين، بل عندهم من علم اليقين ومعرفته ويقينه ما يدرأ الريب، ولا عندهم من قوة الحب لله ولرسوله ما يقدمونه على الأهل والمال، وهؤلاء إن عرفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة. وإن ابتلوا بمن يورد عليهم شبهات توجب ريبهم، فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب وإلا صاروا مرتابين وانتقلوا إلى نوع من النفاق.

وكذلك إذا تعين عليهم الجهاد ولم يجاهدوا كانوا من أهل الوعيد، ولهذا لما قدم النبي ﷺ المدينة أسلم عامة أهلها، فلما جاءت المحنة والابتلاء نافق من نافق، فلو مات هؤلاء قبل الامتحان لماتوا على الإسلام ودخلوا الجنة ولم يكونوا من المؤمنين حقاً الذين ابتلوا فظهر صدقهم قال تعالى: ﴿... أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ١، ٢)، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران: ١٧٩).

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: ١١) إلى أن قال: «وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم إذا ابتلوا بالمحن التي يتضعضع فيها أهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيرا وينافق أكثرهم أو كثير منهم. ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدو غالبا؛ وقد رأينا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة. وإذا كانت العافية، أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين. وهم مؤمنون بالرسول باطنا وظاهرا لكن إيمان لا يثبت على المحنة. ولهذا يكثر من هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم. وهؤلاء من الذين قالوا (آمنا) فقيل لهم: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤) أي الإيمان المطلق الذي أهله هم المؤمنون حقا»[1]. أهـ

فهـزيمة النفس والذل الكبير يحـلان بالمـسلم عنـد أن يعصي ربه أو يتخلى عن دينه.

من هنا يكبر أعداؤه في نظره ويسيطر الرعب في قلبه ويستزله الشيطان ببعض ما كسبه فيحاول إقناع الكافر بولائه له.

من عوامل نصر الله للعباد:

صحة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، التجرد الكامل لله عز وجل في الجهاد فلا تتعلق النفس بمغنم أو بسمعة أو غير ذلك.

الطاعة المطلقة لله تعالى، التوكل على الله سبحانه، الصبر والمصابرة، عدم الغفلة والتساهل، الاعتصام بالله، الثبات عند لقاء العدو، التوجه إلى الله بالدعاء.

---

(١) الفتاوى (٢٧١/٧، ٢٨١).

فإذا تحقق في المسلمين أسباب النصر أحبوا الجهاد ونصروا بإذن الله رب العالمين، فالمؤمن يحب الموت في سبيل الله، كما يحب الكافر الحياة، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال: ٣٩).

وقال ﷺ: «... لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل»[1].

فالجهاد في سبيل الله، فيه تطهير الأرض من أعداء الإسلام وصون الأعراض والأموال والدماء.

لذلك قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٤١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ (الأنفال: ٦٥).

فليس النصر بكثرة الرجال أو كثرة الأسلحة فقط؛ وإنما بالإيمان والعمل بالأسباب، فما هزم من هزم إلا بسبب معصيته لربه، فلا حياة للمسلمين إلا بالرجوع إلى الله رب العالمين، ولا عز لهم إلا بذل الكفرة والمشركين، ولا يذل هؤلاء إلا بجهاد المؤمنين الصادقين في سبيل الله. لأن الكفار إذا تركوا لا يهدأ لهم بال، ولا يرتاح قلب إلا بإضرار المسلمين وإذلالهم...

كما قال تعالى: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ (التوبة: ١٠).

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ (التوبة: ٨)، ولهذا قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١٤).

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٩٧).

عقوبات الله للبشر بسبب معاصيهم

لما أكل أبونا آدم عليه السلام من الشجرة التي نهاه ربه أن يأكل منها أخرجه من الجنة وأنزله إلى الأرض.

قال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٣٨).

وقال الله سبحانه وتعالى موضحاً أسباب هلاك آل فرعون: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ العِقَابِ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: ٥٢-٥٣).

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ، كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٤١-٤٢).

وأمر الله يونس عليه السلام بالذهاب إلى أرض «نينوان» من أرض الموصل، فدعاهم إلى الحق ولم يصبر على تكذيبهم إياه وتمردهم عليه بل يئس منهم وتركهم دون أن يأذن الله له بتركهم. وركب السفينة فاضطربت بمن فيها فأقرع من عليها فوقعت القرعة على نبي الله يونس عليه السلام فألقي في البحر فالتقمه الحوت.

كما قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧).

ولما أرسل الله هود عليه السلام إلى عاد رفضوا الاستجابة لدعوته واغتروا بقوتهم فتكبروا على رسول ربهم فعاقبهم الله بعذابه كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ

فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾(فصلت: ١٥).

ولما أرسل الله صالحاً عليه السلام إلى ثمود ليدعوهم إلى الحق خالفوه ولم يتبعوا الهدي الذي جاء به من عند الله فعاقبهم الله.

كما قال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ العَذَابِ الهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(فصلت: ١٧).

ولما أرسل الله لوط عليه السلام إلى قومه يدعوهم إلى الله وينهاهم عن فاحشة اللواط ويبين لهم قبحها رفضوه وعصوا أمره ونهيه فأمطر الله عليهم حجارة من السماء وجعل أرضهم وديارهم عاليها سافلها كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾(هود: ٨٢).

ولما بعث الله شعيباً عليه السلام إلى قومه يدعوهم إلى التوحيد والعدل في الميزان طغوا واستكبروا بتكذيبهم له فعاقبهم الله بالرجفة. كما قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ، فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾(العنكبوت: ٣٦-٣٧).

وهذه العقوبات من كمال عدل الله عزوجل، قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ، وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(هود: ١٠١- ١٠٢). وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(الأعراف: ٩٦).

وقال سبحانه: ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٠).

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (النحل: ١١٨).

إن المتأمل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يجد أن سبب دمار أصحاب المعاصي وهلاكهم إنما هو بسبب كثرة معاصيهم؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ (المائدة: ١٨).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ، بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٨٠، ٨١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ (الرعد: ١١).

وقال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ، وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (القلم: ٤٤، ٤٥).

وقال ﷺ: «إذا رأيت الله يعطي العبد من النعم وهو مقيم على المعاصي فإنما ذلك استدراج»[1].

---

(١) رواه أبو داود وغيره عن عقبة رضي الله عنه.

وقال الشاعر:

إذا كـــنت في نعمـــة فارعهـــا .... فـــإن المعاصـــي تـــزيل الـــنعم
وداوم علـــيها بشـــكر الإلـــه .... فـــإن الإلـــه ســـريع الـــنقم

قال تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (آل عمران: ١٧٨).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته قال ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود: ١٠٢)»[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «وهل زالت عن أحد نعمة قط إلا بشؤم المعصية؟ فإن الله إذا أنعم على عبده نعمة حفظها عليه، ولا يغيرها عنه حتى يكون هو الساعي في تغييرها عن نفسه وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الأنفال: ٥٣)»[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في إعلام الموقعين: «... وأن يعلم أن لله يوم ينسف فيه الجبال وتترادف فيه الأهوال وتشهد فيه الجوارح والأبصار وتبلى فيه السرائر ويصير الباطن فيه ظاهرا ويحصل ويبدو ما في الصدور كما يبعثر ويخرج مافي القبور وتجري أحكام الرب هنالك على القصود والنيات كما جرت أحكامه في هذه الدار على ظواهر الأقوال والحركات يوم تبيض وجوه بما في قلوب أصحابها من التضحية لله ورسوله وكتابه وما فيها من البر والصدقة والإخلاص

---

(١) رواه البخاري (٨/٤٥١) رقم (٤٦٨٦).

(٢) «تفسير المعوذتين» (ص٢٥).

للكبير المتعال، وتسود وجوه بما في قلوب أصحابها من الخديعة والفسق والكذب والكر والاحتيال وهنالك يعلم المخادعون أنهم لأنفسهم كانوا يخدعون وبدينهم كانوا يلعبون وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون».

وقد سئل سماحة شيخنا المحدث العلامة مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله بالسؤال التالي وهو: يوجد هذه الأيام التلفاز والفيديو التي تضيع الشباب وتشتت أفكارهم ويقلدون أعداء الإسلام فما الطريقة؟ أو كيف ننصح الناس بالابتعاد عن هذا الشيطان وما يسببه هذا التلفاز من الأضرار؟

فأجاب رحمه بقوله: «... فالتلفاز والفيديو من البلايا التي ابتلي بها المسلمون من قبل أعدائهم، وفيها مفاسد لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، ومن هذه المفاسد التبرج تبرج النساء فيها والنبي ﷺ يقول: **«ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء»**، ويقول النبي ﷺ: **«ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب لعقل الرجل الحازم من إحداكن»**... وقد تكون المرأة صالحة أو يكون الرجل صالحاً وبسبب النظر يفسد القلب ولقد أحسن من قال:

قل للمليحة في الخمار الأسود .... ماذا فعلت بناسك متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه .... حتى عرضت له بباب المسجد
ردي عليه صلاته وصيامه .... لا تفتنيه بحق دين محمد[1]

فالواجب على كل مسلم يشعر بالمسؤولية نحو أهله ونحو نفسه أن يبتعد عن هذه الفتنة التي فتن بها كثير من الناس... وأن يطهر بيته منها... ثم أنت تستورد لك شيطاناً من أمريكا يأتي ويرقص أمام امرأتك؟ شيطان من أمريكا أو من فرنسا

---

(١) وهذا الشطر فيه مخالفة ظاهرة، حيث أنه لا يجوز لنا أن نقول بجهد فلان أو كذا أو ديم محمد ﷺ فلزم التنبيه (الناشر).

يأتي ويرقص أو ملاكم يأتي ويلاكم أمام امرأتك؟ صحيح يا إخواننا أن هذا عدم شعور بالمسؤولية أمام الله عز وجل.

وهكذا المرأة العاقلة لا تحب لزوجها أن ينظر وأن يفتن قلبه بالنظر إلى الفتيات، لا تحب هذا، وما تحصل سعادة بين المرأة وزوجها إلا إذا كانت مطيعة له بعيدة عن النظر إلى غيره، وهكذا أيضاً هو نفسه يكون بعيداً عن النظر إلى غيرها هذه فتنة النظر»[1].

قلت كثير من الآباء وأولياء الأمور يهدمون بيوتهم بأيديهم بشرائهم وسائل الفتن وهدم القيم وإدخالها إلى بيوتهم لأهليهم ولأولادهم، ثم يستغربون بعد ذلك من انحراف أسرهم، وربما عرفوا السبب فيندمون حين لا ينفع الندم. لأن النجاة في طاعة الله ورسوله، والهلاك في معصيتهما. فالذين يجلبون الشرور إلى بيوتهم عليهم وزرها ووزر من عمل بهذه الشرور من بعدهم كما قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (النحل: ٢٥).

قال الشاعر:

تعب الغراب بما كره .... ولا إزالة للقدر
تبكي وأنت قتلتها .... اصبر وإلا فانتحر

وقال آخر:

أتبكي على لبنى وأنت قتلتها .... لقد ذهبت لبنى فما أنت صانع

فهل يعتبر عصات المسلمين المفتونين بحب الصور بما حصل للأمم التي قبلهم من سخط الله عليهم وعذابه لهم؟

---

(١) إجابة السائل (ص ٢٤٧-٢٤٩).